

الجزائريون و تحقيق التراث خلال الفترة الإستعمارية على ضوء المجلة الإفريقية

حالة محمد ابن أبي شنب (1869-1929)

أ.د. حنيفي هلايلي

جامعة سيدي بلعباس

محمد بن أبي شنب إحدى الشخصيات الجزائرية ذات التكوين المزدوج الفرنسي والعربي الذي فرض نفسه على الساحة العلمية والأدبية في الجزائر المستعمرة خلال القرن التاسع عشر. وهو إلى جانب ذلك عبقرية مبكرة، ميزه سبقه إلى الإمام بعلوم وثقافة عصره إضافة لتمسكه بأصالته وهويته. فكان تكوينه الأول تقليدي بمسقط رأسه المدية حيث دخل المدرسة الفرنسية وحصل في سن مبكرة سنة 1898 على شهادة مدرسة المعلمين ببوزريعة في اللغة الفرنسية. ويعد أول عربي ينال درجة الدكتوراه، وهو الأمر الذي أهله ليعين سنة 1924 في منصب أستاذ في كلية الآداب بجامعة الجزائر. تميز باطلاعه الواسع على العديد من اللغات والثقافات، وهو ما يتجلى من خلال إنتاجه الغزير الذي فاق الخمسين بين مقال وكتاب، حيث اختص بالدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية وتحقيق التراث.

يعتقد المؤرخ أبو القاسم سعد الله، أن ابن أبي شنب كان يعي التاريخ جيدا، فقد تحدى الاستعمار بعلمه، وكان شيخا لمستشرقيه، فتحدى إدارة الاحتلال بلباسه العربي الأصيل

وهو يؤكد بصمت ضد سياسة الاندماج. أما أفكاره ومواقفه فتمتد زهاء إنتاج فكري طوال ثلاثين سنة⁽¹⁾.

حياته ونشاطه العلمي:

على الباحث أن يعود إلى تراث الرجل الفكري ليعرف من هو ابن أبي شنب؟ فإذا استعرض الباحث قائمة مؤلفات و مساهمات ابن أبي شنب بدا له شخصية كبيرة عاشت في عصر جدير بها و جديرة به، فهو من الجزائريين القلائل الذي حصلوا على الدكتوراه في الأدب العربي في عهد الإحتلال الفرنسي و أول من تأسد في كلية الآداب بجامعة الجزائر التي كانت حكرًا على الفرنسيين، و أول من دخل المجاميع اللغوية من الجزائريين و حضر مؤتمرات المستشرقين العالمية كمحاضر و مساهم بدراسات جادة، و تخرج على يديه جيل من المستشرقين الفرنسيين⁽²⁾. محمد بن العربي بن محمد أبي شنب الجزائري الأديب الباحث، أحد أعلام المغرب العربي الناهيين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأحد رواد النهضة العربية الحديثة.

ولد في منطقة عين الذهب بالمدينة جنوب مدينة الجزائر (1286 - 1347هـ / 1869 - 1929م)، ونشأ في ظل الاحتلال الفرنسي، حفظ القرآن الكريم قبل أن يلتحق بمدرسة المدينة الثانوية، ليتعلم اللغة الفرنسية والعلوم الغربية وفق المنهج المفروض من قبل سلطات الاحتلال، ثم انتسب إلى دار المعلمين ببوزريعة قرب العاصمة، وتخرج منها بعد عام حاصلًا على إجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية. وأمضى عشر سنوات في هذه المدارس، شغل فيها بالتعليم وتحصيل علوم اللغة العربية واستدراك ما فاتته منها، فقرأ النحو والصرف والعروض، وشيئا من علوم الدين، وتقدم بما حصله إلى مدرسة الآداب العليا، ونال إجازتها، فتولى تدريس آداب العربية في مدرسة الآداب بمدينة قسنطينة، وهي إحدى المدارس الحكومية الرسمية (Medersas)⁽³⁾،

وبناء على إحصاءات 1911-1912 فإن مجموع من كانوا بالمدارس الشرعية الثلاث،

هو 176 تلميذ موزعين كالتالي:

- مدرسة الجزائر: 83 تلميذا.

- مدرسة قسنطينة: 54 تلميذا.

- مدرسة تلمسان: 39 تلميذا.

وتضاءل عدد التلاميذ في هذه المدارس إلى 143 سنة 1931⁽⁴⁾. وفي سنة 1896 نشرت جريدة المبرسرلسان الحكومة الفرنسية، قائمة بأسماء المعلمين في المدارس الشرعية الثالث من بينهم مستشرقون وجزائريون، وإليك بعض الأسماء:

- مدرسة الجزائر: (عبد الحليم بن سماية، أميل فليكس غوتيه، دليباش ديلفان).
- مدرسة قسنطينة (ميلود بن الموهوب، عبد القادر المجاوي، موتيلانسكي).
- مدرسة تلمسان (جورج مارسيه، أحمد بن البشير)⁽⁵⁾.

وبعد أن أمضى في عمله الجديد أربع عشرة سنة، ارتقى إلى القسم الأعلى من هذه المدرسة، فأقرأ فيها النحو والأدب والبلاغة والمنطق. وفي أواخر عام 1922م، تقدم إلى كلية الآداب الجزائرية ببحثين للحصول على درجة الدكتوراه، هما: «حياة أبي دلامة وشعره» و«الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية»، فمُنح درجة الدكتوراه وكلف بالتدريس في المدرسة العربية-الفرنسية بمدينة قسنطينة ثم الجزائر، ثم انتقل منها إلى كلية الآداب. ومن أساتذته الذين أثروا في حياته العلمية رنيه باصيه (René Basset) (1855-1924) كبير المستشرقين الفرنسيين ومدير مدرسة الآداب في الجزائر حوالي أربعين سنة وهذا منذ 1880. كان باصيه في خدمة الإستشراق الفرنسي في الجزائر وسخر لخدمة الإدارة الاستعمارية بكل حرص. وجند الفرنسيين والجزائريين معاً ووظفهم للتدريس والبحث والتأليف والنشر، وكانت الحكومة العامة تسانده بالمال للقيام بأبحاثه وأبحاث تلاميذه وبعثاتهم ورحلاتهم. وتوجته الإدارة سنة 1905 برئاسة مؤتمر المستشرقين الدولي 14 في الجزائر. كان باصيه يتقن عدة لغات فعمل أستاذاً بمدرسة الآداب بالجزائر سنة 1885 ثم عين مديراً لها سنة 1894، ليصبح عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1911. ترك إنتاجاً غزيراً لاسيما في الدراسات العربية والبربرية وقد ترجمت أعماله تكريماً له من طرف تلاميذه وأصدقائه⁽⁶⁾. جمع ابن أبي شنب بين الثقافتين العربية والأوروبية، وأتقن اللغتين العربية والفرنسية، وألم باللغات الأجنبية. وحسب العلامة الجزائري عبد الرحمن الجيلالي

فإن ابن أبي شنب كان مترجماً من الطراز الأول بإتقانه لتسع لغات: العربية، الفرنسية، الإيطالية، الإسبانية، الألمانية، اللاتينية، التركية، العبرية، والفارسية⁽⁷⁾. اكتسب ابن أبي شنب احترام المثقفين العرب والأوروبيين وتقديرهم، فانتخب في عام 1920م، عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وحاز على عضوية أكاديمية العلوم الاستعمارية بباريس. وفي سنة 1922م قلدته حكومة فرنسا وسام فارس جوقة الشرف تقديراً لجهوده في التقريب بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية. وكانت له مكانة كبيرة عند المستشرقين، يرجعون إليه فيما يشكل عليهم، ويطلقون عليه «ابن شنب» وينادونه «شيخنا». أمضى ابن أبي شنب حياته في العمل العلمي، فكان ينشر البحوث القيمة في الدوريات العربية والأجنبية، ويضع المؤلفات باللغتين العربية والفرنسية، ويخرج كنوز التراث العربي من خباياها، فحقق عدداً كبيراً من كتب التراث في اللغة والنحو والأدب والتاريخ والتراجم، فضلاً عن البحوث الميدانية في التراث الشعبي الجزائري واللهجة الجزائرية. وفي سنة 1924م، عُيّن الشيخ ابن أبي شنب أستاذاً رسمياً بكلية الآداب في العاصمة، كما انتخبه المجمع العلمي الاستعماري بباريس عضواً عاملاً به، كما انتخبته هيئة إدارة مجلس الجمعية التاريخية الفرنسية كاتباً عاماً بها. وقد ترك ابن أبي شنب بحوثاً كثيرة منشورة في الدوريات العلمية الرصينة، الشرقية والغربية، وعدداً كبيراً من المصنفات المختلفة والمفيدة في الدراسة الأدبية والتحقيق والفهرسة والبحث الميداني باللغتين العربية والفرنسية. من مصنفاته المطبوعة كتاب «تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب»، وكتاب «أبو دلالة وشعره»، وكتاب «ما أخذه دانتي من أصول إسلامية» مطبوع بالفرنسية، وكتاب «الأمثال العامية الدارجة في المغرب»، وثلاثة أجزاء، وكتاب «الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية»، وكتاب «طبقات علماء إفريقية». وأخرج شرحاً لنظم مثلثات قطرب، وشرحاً لكتاب «جمل الزجاجي»، وكتاب «عنوان الدراية في علماء بجاية» للغبريني، وكتاب «نزهة الأنظار» للورثيلاني، وكتاب «البستان في علماء تلمسان»⁽⁸⁾.

كان لابن أبي شنب نشاط واسع تجاوز حدود الجزائر، حيث كانت له مراسلات مع علماء عصره، ومقالات نشرت بمجلة المجمع العلمي في دمشق، وكذلك المجلة الإفريقية (Revue Africaine) وهي نشرية اختصت بنشر أعمال (الجمعية التاريخية الجزائرية) والتي صدر عددها الأول سنة 1956.⁽⁹⁾

المساهمة العلمية في نشر التراث العربي الإسلامي:

لقد غلب البعد التراثي على كتابات ابن أبي شنب وهذا ما نلاحظه في جميع دراساته المنشورة في المجلة الإفريقية التي سنستعرضها زنيا مع شرحها تسهيلا للقارئ:

1- استعراض المؤلفات العربية، المحررة أو المنشورة من طرف المسلمين

(1322-1323هـ/1404-1405م)⁽¹⁰⁾:

تضمن عرضا للمؤلفات العربية المنشورة خلال سنتين (1904-1905) في البلاد العربية، مع تحفظ فيما يخص ما نشر في الهند و فارس وتركيا نظرا لتأخر وصولها إلى مدينة الجزائر حيث يستغرق ذلك بضع سنوات. قسم النشر حسب البلدان إلى خمسة أقسام: القاهرة، بيروت، تونس، الجزائر، وفاس. وأشار ابن أبي شنب إلى احتكار الحكومة المغربية لعملية النشر لدواعي سياسية، حيث يوجد ناشر واحد هو "ماء العينين" مرابط شنقيط، وتوزع منشوراته في المساجد الرئيسية للمملكة. ولاحظ الدعم الذي تقدمه الحكومة الفرنسية في الجزائر للناشرين الفرنسيين في هذا المجال. كما يعترف في اطلاعه على الكثير من هذه المؤلفات إلى مجهودات السيد أحمد بن مراد التركي صاحب المكتبة التي تقع في: 13 شارع راندون، هذه المكتبة المعروفة بـ "الثعالبية"، وهي مكتبة رائدة لها دور كبير في نشر وطبع التراث العربي في الجزائر. واعتمد ابن أبي شنب في عرض الكتب إلى الطريقة التالية: تقديم عنوان الكتاب بالحروف العربية، يتبعه اسم مؤلفه بالحروف اللاتينية، وعدد أجزاءه وصفحاته بحسب الطريقة المتداولة. والجدول التالي يوضح لنا عدد الكتب المطبوعة:

جدول المطبوعات العربية ما بين سنتي 1904-1905:

عدد الكتب	المطبعة	البلد
40	بولاق	القاهرة(مصر)
05	//	تونس
02	//	بيروت(لبنان)
02	الثعالبية	الجزائر
03	//	فاس(المغرب)

2- انطباعات بيداغوجية إسلامية: تربية وتعليم الأطفال⁽¹¹⁾:

في هذا المقال أشاد ابن أبي شنب بدور علماء الإسلام في المساهمة في تأليف الكتب التي تتناول تربية وتعليم الأطفال، واستدل بآيات من القرآن الكريم. وقام بترجمة مخطوط موسوم: "ب خاتمة في رياضة الصبيان وتأديهم وتعليمهم وما يليق بذلك." وهي عبارة عن رسالة الإمام أبي حامد الغزالي، وقام بترجمتها إلى اللغة الفرنسية.

3- ابن مسايب من تلمسان إلى مكة في القرن 18 م⁽¹²⁾:

ترجم ابن أبي شنب في هذه الدراسة قصيدة شعرية من اللغة العربية إلى الفرنسية مع شرح واف لها. وهي تخص المديح النبوي وأدب الرحلة ومديح الصالحين. والمقطوعة

الشعرية لصاحبها محمد ابن مسايب التلمساني من شعراء الجزائر خلال القرن الثامن عشر. جاءت القصيدة في 120 بيتاً.

و قد ذكر ابن أبي شنب بصعوبة تحدي تاريخ مولد و وفاة الشاعر مع وجود بعض الإشارات (1150هـ/1737م-1160هـ/1747م-1170هـ/1756م) والمهم في الأمر أن الشاعر مدفون بمقبرة سيدي محمد السنوسي بتلمسان ، و بمعينة الضريح تم تصحيح اسمه إلى ابن المسيب، وشكر ابن أبي شنب السيد قين (Guin) على المعلومات التي قدمها له بخصوص الشاعر. وإليك بعض المقاطع من القصيدة:

بالورشان أقصد طيبه *** وسلم على الساكن فيها

نرسلك من باب تلمسان *** سرفي حفظ الله مآمان.

4- أصل تسمية الشاشية⁽¹³⁾ :

لعل ذكر كلمة شاشية تذهب بنا إلى ما كان يلبس فوق الرأس عند عامة سكان المغرب العربي و سوريا و غالبية الأتراك. و حسب دي ساسي (De Sacy)، و دوزي (Douzy) في كتابه المعجم المفصل لأسماء اللباس عند العرب ، فإن كلمة شاشية محرفة من كلمة شاش و هي عبارة عن عمامة تعصب على الرأس. و الواقع أن تصفح مذكره البكري في كتابه المعجم ماستعجم ، و ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، يتضح أن كلمة الشاشية مأخوذة من أصلها الجغرافي و هي بلاد الشياشان بأسيا الصغرى.

ولا شك أن تنوع مصادر ابن أبي شنب في استقاء معلوماته و بالاعتماد على الثنائية بين كتابات المسلمين و المستشرقين هي التي مكنته من الوصول إلى نتائج معرفية صحيحة في الاستنطاق التاريخي لأسماء الكلمات.

5- ترجمة قصيدة الشيخ سيدي محمد بن إسماعيل⁽¹⁴⁾ :

ترجم ابن أبي شنب قصيدة شعرية ب33 مقطع لصاحبها الشيخ محمد بن إسماعيل من مواليد مدينة الجزائر (1820-1870)،. جاء محتوى القصيدة يمجّد انتصارات الدولة

العثمانية على روسيا القيصرية في حرب القرم(1854)، وهي من مراحل المسألة الشرقية حيث دفعت بالعلاقات الدولية نحو التآزم وغيرت التحالفات السياسية، فوقفت انجلترا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية للدفاع عن سلامة أراضيها ضد روسيا⁽¹⁵⁾.

6- موجز حول مخطوطين حول شرفاء زاوية "تامسلوهت" ⁽¹⁶⁾:

يقدم لنا ابن أبي شنب في هذه الدراسة مخطوطين عاد بهما الأستاذ إدمون دوتي (DouttéEdmond) من رحلته إلى المغرب. المخطوط الأول لمؤلف مجهول تضمن معطيات حول النسب الشريفى لبني أمغار (Les Amghar)، كما تضمن المقال تراجم مختصرة لشيوخ هذه العائلة ابتداء بإسماعيل أمغار. كما نبه بن أبي شنب إلى أن هذه العائلة أنجبت العديد من العلماء لم يذكرهم المخطوط.. أما المخطوط الثاني، فيتناول (حياة سيدي أبو يعزى) لمؤلفه أبو القاسم بن محمد بن سليم بن عبد العزيز بن شعيب الشيعبي الهروي التادلي، حيث يتضمن الجزء الثاني من المقال تعريفا بالمخطوط ومؤلفاته. وفصول الكتاب والمصادر الذي اعتمد عليها "التادلي" في مؤلفه. كما يعطي ابن أبي شنب لمحة موجزة عن "أبو يعزى" وزاويته، ليحيل في نهاية المقال إلى أهم المراجع عن حياته.

7- قصيدة مهداة للنبي عليه الصلاة والسلام: ⁽¹⁷⁾

ترجم قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتنسب القصيدة لأم هانئ وهي صحابية أنصارية يذكر لها المحدثون رواية أربعين حديثا، أخذ البخاري و مسلم واحد منها في صححهما⁽¹⁸⁾. وإليك مطلع القصيدة التي جاءت في 21 بيتا :

ما للمساكين مثلي مكثري الزلزل *** إلا شفاعة خير الخلق والرسول.
أني نزيل رسول الله ثبتت *** له النبوءة عند الله في الأزل.
عليك أزكى صلاة الله ما اطلعت *** شمس وما سار سار في مدى السبل.

8- ملاحظات حول استعمال كلمة "تليس" وأصلها⁽¹⁹⁾:

يشير في بداية المقال إلى أن المعجم العربي لا يقبل هذه الكلمة إلا تحت كلمة "تليسة" (tillisa)، على وزن "فَعِيلَة" مثل: "سكينة" و"قينة"، مستشهدا بالعديد من المصادر (ابن حلويه، عبد اللطيف البغدادي، الحريري)، ثم يعطي دلالة الكلمة بحسب المصادر العربية والغربية، ثم يبحث زمن ظهورها. لي طرح السؤال حول أصل الكلمة: هل هي عربية؟ أم هي أجنبية وعن أي لغة أخذت؟، فيستعرض مختلف الافتراضات، ليخلص في الأخير لأصولها الإغريقية البيزنطية وهو ما يوافق طرح "الخفاجي". هذا المقال القيم، يظهر الإمام الكبير لابن أبي شنب بعلم وتاريخ اللغة العربية وكذلك اللغات الأخرى، كما يكشف عن سعة اطلاع.

9- مقدمة ابن الأبار في تكملة الصلة ترجمة بالتعاون مع ألفريد بيل⁽²⁰⁾ :

سارت الكتابة التاريخية الأندلسية المرتبطة بالتراجم والطبقات في اتجاه مغاير لمثيلتها في بلاد المشرق و المغرب، فقد ظهرت كتب الصلات و كتب الفهارس و البرامج، و هو ما أعطى بلاد الأندلس نوعا من الخصوصية الفكرية في حضارة الإسلام.

لقد تسلسلت المصنفات الشهيرة للتراجم على صورة متتابعة الواحدة بعد الأخرى، ومما يلفت الانتباه لدى الباحثين في مصنفات التراجم الأندلسية أنها كانت سلسلة متصلة الحلقات ، فالكتابة التاريخية لهذا النموذج (الصلات و التذييل) الذي أصبح حلقة متصلة في كتب التراجم الأندلسية و المغربية، اتسم بإعطاء "هوية متصلة لفئات العلماء و الفقهاء"، وتعود أصول هذا النموذج إلى أبي الوليد بن الفرضي (351-403هـ/963-1013م) الذي ذهب ضحية الفتنة البربرية بقرطبة. وهذا ما جعله يحظى بعمليات تذييل وإصالة بكتب أخرى على فترات متتالية. وقد كانت عملية التذييل والإصالة الأولى من إنجاز أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال القرطبي(495-578هـ/1101-1183م) بعنوان (كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس). وقد تواصل تذييل كتب الصلة مع ابن الأبار البلسني(595-658هـ/1199-1260م) في كتابه(تكملة الصلة). أثناء تواجد ألفريد بيل (Alfred Bel)(1873-1945) و ابن أبي شنب بفاس ما بين سنتي 1918-1941 وجدا نسخة من كتاب

التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار عند مكتبة الشيخ عبد الحبي الكتاني شيخ الزاوية الكتانية.

و الواقع أن الكتاب تم نشره من طرف المستشرق الإسباني كويدرا (Codera) وهذا طبقاً لنسخة الأسكوريال بمدريد وهي ناقصة في أسماء التراجم من أ،ب،ج. وقد طبع الكتاب ما بين 1887-1889. ثم قام الإسبانيين أراكون (Alracoun) و بالنتيا (Palecia) بإكمال فهرس التكملة. وأكد كويدرا بأن ابن الأبار كتب التكملة قبل 636هـ/1239م لكن ابن أبي شنب و ألفريد بيل صححا هذه الأخطاء من خلال الإشارات التاريخية الواردة في الكتاب ، بحيث أن ابن الأبار انطلق في التأليف سنة 631هـ/1233م، وبدأ في التحرير سنة 646هـ/1249م. و دام التأليف زهاء عشرون سنة، لم ينتهي منه سوى سنة 651هـ/1254م. وقد طبع الكتاب بمطبعة فونتانا بالجزائر سنة 1920:

Mohammed Bencheneb, *Takmilat es-sila d'Ibn El 'Abbar*, texte arabe, Alger, Fontana, 1920.

10- قائمة بالاختصارات المستعملة من طرف الكتاب العرب⁽²¹⁾:

تضم هذا الدراسة قائمة بأكثر من مائة مختصراً استعملها المؤلفون العرب في كتب النحو، الفقه، الحديث والفلسفة و التاريخ و التراجم. حيث يذكر المختصر أولاً ثم الكلمة التي يدلّ عليها بالحروف العربية و يتبعها بترجمتها إلى الفرنسية مع الشرح. و الملاحظ أنه اختصر الشهور القمرية أيضاً. و يعد هذا العمل على صغر حجمه تقنية مفيدة لدارسي ومحققى التراث. و إليك بعض هذه المختصرات:

جدول المختصرات التي ذكرها ابن شنب:

المختصرات	المدلول باللغة العربية	المدلول باللغة الفرنسية
أهـ	انتهى	Fin
أنا	أنبأنا	Nous a rapporté

Marge-glose marginale	حاشية	حش
Pluriel	جمع	ج
Un autre manuscrit	نسخة أخرى	خ
ville	بلد	ب
édition	طبع	ط
Le commentateur	المُشارِح	الش
Voici son explication	بيانه	ن
Ere hégrienne	هـ	هجريّة
On dit	يق	يقال
Et alors	فح	فحينئذ
L'auteur du texte qui est commenté	المص	المصنّف

11- مقدمة ابن الأبار في تكملة الصلة المخطوط الكامل⁽²²⁾:

نوه ابن أبي شنب بمجهودات الشريف عبد الحي الكتاني أستاذ بجامعة فاس، إذ راسله وأمه بنسخة من مقدمة التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار وكانت ناقصة. وقد تحمس ابن أبي شنب منذ الوهلة الأولى للوصول إلى تلك الوثيقة. وإليك ما جاء فيها بعد نشرها من طرف ابن أبي شنب: "و بعد فهذا كتاب التكملة لكتاب الصلة الذي ألفه أبو القاسم بن بشكوال فواصل المنفصل وطبق في معارضة أبي الوليد بن الفرضي المنفصل. وجاء بحسنة... لا جرم أنه أعاد بها من كان فانيا، وأعاد للأندلس وأهلها عمراً ثانياً...".

12- عن العدد "ثلاثة" عند العرب⁽²³⁾:

اهتم العرب بالعدد "ثلاثة" (Du nombre trois chez les arabes)، لهذا قام ابن أبي شنب بدراسة العدد (ثلاثة:3) عند العرب والمسلمين، حيث توصل في بحثه أنه يحتل مكانة مميزة عندهم. وأشار في البداية إلى مخطوط أبي منصور الثعالبي النيسابوري (ت. 429 هـ- 1038م) الموسوم بـ "برد الأعداد في العدد" حيث خصص فيه فصلاً كاملاً للعدد ثلاثة عند العرب، وكذلك إلى كتاب السيوطي الموسوم بـ "الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير"، وهما المصدران الرئيسيان الذي اعتمد عليهما بن أبي شنب في دراسته، إضافة لملاحظاته الشخصية التي سجلها أثناء مطالعته. وتوصل ابن أبي شنب في بحثه أن العدد ثلاثة عند العرب والمسلمين له مكانة الدراسات التالية: اللغة، الفقه، القرآن، الحديث، الشعر الجاهلي والإسلامي والأمثال والحكم والتاريخ.

فهرسة التراث العربي الإسلامي:

شارك ابن أبي شنب في صنع فهرس المكتبات التي تحوي مخطوطات عربية سواء في الجزائر أو المغرب وهذا تحت إشراف الإدارة الاستعمارية، ولم يخرج في كل بحوثة عن المنهج العلمي الرصين، فأسدى للثقافة العربية خدمة جليلة بإخراج تراثها من ناحية، وبتصويب رأي المستشرقين فيها من ناحية ثانية.

اهتم كثيرا بأعمال التراجم للتراث المغرب الإسلامي و هذا بالتعاون مع بعض المستشرقين و خاصة ليفي بروفنصال. ففي سنة 1906 ، كلفه الحاكم العام جونار (Charles Célestin Jonnart) (1911-1903) للقيام بمهمة فهرسة مخطوطات مساجد مكاتب الجزائر العاصمة، و هو الأمر الذي تكفل بإعداد فهرسة للمخطوطات لمكتبة المسجد الكبير بالعاصمة . و لاحظ ابن أبي شنب أن المكتبة كانت تضم خمسمائة مخطوط سنة 1830 لم يتبقى منها في سنة 1872 سوى 72 مخطوطا. و التوزيع التالي يوضح لنا مخطوطات المسجد الكبير بالعاصمة حسب فهرسة ابن شنب⁽²⁴⁾:

جدول توزيع مخطوطات مكتبة المسجد الكبير حسب تصانيف المعرفة:

العدد	تصانيف المعرفة
15	القرآن و علومه
45	الحديث و علومه
06	السيرة النبوية
03	الفقه
05	فقه حنفي
22	فقه مالكي
02	العقيدة
09	أصول الفقه
02	النحو
109	المجموع

كما شارك ابن شنب مع المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال (LEVI-PROVENCAL) في فهرسة مكتبة فاس التاريخية و التي احتوت على 424 مخطوط و مطبوع طبعة حجرية في ميادين القرآن و الحديث و الفقه و العقيدة و النحو و الأدب و الشعر و التاريخ و التراجم و الرحلات

والتصوف والمنطق⁽²⁵⁾. واعتمد كل من ابن أبي شنب وليفى بروفنصال في عمل الفهرسة إلى الاعتماد على التقنيات التالية:

1- ذكر اسم المؤلف. 4- نوعية الطبع (حجري أو منسوخ).

2- ذكر عنوان المطبوع. 5- عدد المجلدات.

3- تاريخ و مكان الطبع. 6- عدد الصفحات.

و الجدول التالي يوضح طريقة الفهرسة والإنجاز التراثي الذي تم إنجازه:

جدول توزيع مخطوطات مكتبة فاس حسب تصانيف المعرفة:

العدد	تصانيف المعرفة
03	القرآن
32	الحديث
105	الفقه
14	العقيدة
29	النحو
06	البيان
04	العروض
10	اللغة، الأدب
26	الشعر
32	تاريخ، تراجم، سيرة
04	رحلات
54	تصوف
10	منطق
95	متنوعات
424	المجموع

شارك ابن أبي شنب في مؤتمرات المستشرقين بالجزائر و لندن و ستوكهولم، و عضوية في المجمع العربي بدمشق. و أكد حضوره العلمي في المؤتمر العالمي السادس عشر للمستشرقين سنة 1907، بمحاضرة موسومة: "إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي" وفي سنة 1928 كلفت كلية الآداب بجامعة الجزائر ابن أبي شنب ليمثلها في أعمال المؤتمر العالمي للإستشراق الذي انعقد بإنجلترا بجامعة أكسفورد (Oxford). و كان هذا آخر نشاطاته العلمية التي دامت أكثر من خمسة وثلاثون عاما.⁽²⁶⁾

لقد ترك ابن أبي شنب مؤلفات كثيرة، و تفرغ للتدريس و التأليف و تحقيق التراث، و بالرغم من نضجه العقلي و معاشته لفترة مخاض الحركة الإصلاحية في المشرق و التوسع الإستعماري في المغرب العربي، ثم يقظة الشعوب بعد مؤتمر الصلح، و الثورة البلشفية (1917)، و مبادئ ويلسن (1918)، و بروز شخصية الأمير خالد في الجزائر 1914-1923، فإن ابن أبي شنب لم يترك أثارا كتابية أو مواقف سياسية من الإستعمار.⁽²⁷⁾

ألف ابن أبي شنب في الأدب و العروض و المنطق، و تحقيق النصوص و التعريف بالإجازات و التراجم، و كان متمكنا في اللغات الشرقية و الأوروبية. و ما حدث من أحداث مثل التجنيد الإجباري، و ظهور الجرائد و النوادي و الجمعيات و العرائض، و احتلال ليبيا و المغرب، و زيارة الشيخ محمد عبده، لم نعرف لابن شنب أي نشاط خارج التعليم و التأليف في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر المعاصرة⁽²⁸⁾. و عند وفاه ابن أبي شنب سنة 1929 نعاه الرأي العام الجزائري و الفرنسي، و أبنه تلميذه جورج مارسيه و ركز على ولاءه لفرنسا و تصنعه في الإحتفاظ باللباس العربي و عن تدرجه في الوظيف، و ذكر بأنه في العشرينيات من عمره كان مدرسا بالمدراس الشرعية، و في الثلاثينيات أستاذ بكلية الآداب، و في الأربعينيات دكتوراه في الآداب و أستاذ جامعي. و قد وقع رئيس الجمهورية الفرنسية سنة 1927 أمرية تنص على تعيين ابن أبي شنب أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الجزائر و هذا بتوصية من وزير المعارف هيريو أمرية تنص على تعيين ابن أبي شنب أستاذا للغة العربية بكلية الآداب بجامعة الجزائر و هذا بتزكية من وزير المعارف

هيريو (Herriot)⁽²⁹⁾ و قال عنه هنري ماسيه " إن ابن شنب كان مثال "التألف الفرنسي-الجزائري في الجزائر".⁽³⁰⁾ وهذه شهادة من مستشرق فرنسي في شخصية جزائرية فذة.

الإحالات :

- (1) أبو القاسم ، سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996، ج4، ص ص 157-158 .
- (2) نفسه، ص 156.
- (3) تأسست المدارس الإسلامية الحكومية أو المدارس الشرعية الثلاث(قسنطينة-الجزائر-تلمسان)، بموجب مرسوم 30 سبتمبر 1850، تختص بالدراسات الهادفة إلى تكوين و تخرج موظفين تحتاهم الإدارة الفرنسية كالمفاتي و العدول و التراجمة و معلمي اللغة العربية. و كان المشرفون على هذه المدارس مستشرقون فرنسيون، و كان الهدف منها تكوين فئة متعلمة من الجزائريين تلعب دور الوسيط بين السكان و الإدارة الإستعمارية. و قد أورد الحاكم العام راندون(1851-1858)، ما نصه: " فمن هذه المدارس يتخرج الموظفون الإداريون و القضاة و بكلمة أعم الشخصيات التي لها تأثير على السكان حتى لا يفلتوا من قبضتنا". للمزيد، أنظر:
- عبد القادر، حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط1، شركة دار الأمة، 1999، ص 59.
- كمال، خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس و التطور(1850-1951)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007-2008، ص ص 69-76.
- (4) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، ج3، ص 397.
- (5) نفسه، ص ص 389-391.
- (6) Bel ,Alfred, « René Basset »,In,R.A,n°65,1924,pp.12-19.
- (7) عبد الرحمن، الجيلالي ،محمد بن شنب: حياته و تراثه في تاريخ الجزائر العام، 1964، بيروت ،1965، ص 34.
- (8) MARCAIS ,Georges, Ben Cheneb (1869 + 1929), R.A,n°70, 1929, pp. 150-159.
- (9) المجلة الإفريقية لسان حال الجمعية التاريخية الجزائرية التي تأسست في 7 أبريل 1856 بالعصمة بأمر من الحاكم العام راندون ، توقفت المجلة عن الصدور ما بين 1914-1918 ، لتواصل مشوارها البحثي إلى غاية 1962، اعتبرها غوستاف ميرسييه : مكتبة تاريخية في حد ذاتها.صدر منها 106 عدد إلى جانب الكتب و المنشورات و أعمال المؤتمرات.يرجى العودة إلى:
- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص ص 96-97.
- (10) BEN CHENEb, MOHAMMED, « Revue des ouvrages arabes édités ou publiés par les Musulmans en 1322 et 1323 de l'hégire (1904-1905) », R.A,n°50, 1906, pp. 261-296.

- BEN CHENEB, MOHAMMED, « Notions de pédagogie musulmane. Résumé d'éducation et d'instruction enfantine », *R.A,n°41*, 1897, pp. 267-285. (11)
- (12) BENCHENEB, Mohamed, « Itinéraire de Tlemcen à la Mekke par Ben Messaib », *R.A,n°41*, 1900, pp. 261-282.
- BEN CHENEB (M.), « Origine du mot Châchiyya », *R.A,n°51*, 1907, pp. 54-56 . . (13)
- BEN CHENEB (M), « La guerre de Crimée et les Algériens par le cheikh Sidi Mohammed ben Ismâ'il », *R.A,n°51*, 1907, pp. 169 -222. (14)
- (15) حول هذه الحرب راجع: محمد سهيل، طقوس، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط2، بيروت: دار النفائس، 1429هـ/2008م، ص ص 378-392
- (16) BENCHENEB (M), « Notice sur deux manuscrits sur les chérifs de la Zâwiya de Tamesloûhet », *In,R.A,n°52*, 1908, pp. 105-114.
- (17) BEN CHENEB (M), « Poème en l'honneur du Prophète », *In,R.A,n°54* , 1910,pp.182- 190
- (18) ابن سعد، الطبقات الكبرى، (تقديم: إحسان عباس)، ط2، بيروت: دار صادر، ج8، ص 460.
- BEN CHENEB(M), « Observations sur l'emploi du mot Tellis: son origine », (19)
In,R.A,n°56, 1912, pp.566-570.
- BEL (A.) et BEN CHENEB, M, « La préface d'Ibn El-'Abbâr à sa Takmila-t essila », (20)
texte arabe et traduction française, *In,R.A,n°*, 59, 1918, pp. 306-335.
- BEN CHENEB (M), « Liste des abréviations employées par les auteurs arabes », *In,R.A*, (21)
n°, 61, 1920, pp. 134-138.
- BENCHENEB(M),« La préface d'Ibn El-Ahbâr à sa Takmila-t-es-Sila », *In,R.A,n°*, 64, (22)
1923,p p. 163-164.
- (23) BEN CHENEB ,M, « Du nombre trois chez les Arabes », *In,R.A,n°*:67, 1926, pp. 105 _ 178
- Ben Cheneb, Mohammed ,Catalogues des manuscrits arabes conservés dans les (24)
principales . bibliothèques algériennes : Grande mosquée d'Alger , Alger : A. Jourdan , 1909 , 128 p.
- BEN CHENEB(M) et LEVI-PROVENCAL (E.), « Essai de répertoire chronologique des (25)
éditions de Fès », *In, R.A.,n°* 62, 1921, pp. 158-173/pp. 275-290; *n°*63,1922, pp. 170-185, 333-347.

Massé, Henri, « Les Etudes arabes en Algérie (1830 - 1930) »,In ,R.A ,n°74,1933 ,p.244 .

(26)

(27) أبو القاسم، سعد الله، أبحاث،...، ص 159.

(28) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، ص 172.

(29) MARCAIS (G.), op.cit,p.151.

(30) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، ص 172.